

الخطيئة الموروثة عند النصاري في ضوء القرآن الكريم

دكتور/ إبراهيم محمد الدوسري

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

مقدمة:

الحمد لله علام الغيوب، غفار الذنوب، يصرف كما يشاء القلوب، جعلنا خطأ فنستغفره فيتوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، الرحمن علام الغيوب، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بالحق والهدى، فهدى به من الضلال، وبصر به من العمى، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه الأتقياء.

أما بعد

فإن قضية الخطيئة تمثل الأساس العقدي عند النصاري، حيث إنها أساساً لباقي عقائد النصرانية، لذلك ملئت تفاسيرهم بها، حتى يبرهنوا على مسألة صلب المسيح، ويدعون أن البشرية ورثت تلك الخطيئة فكان لابد من مخلص، فأشفق الله على الناس، فبذل ابنه وقتل وصلب؛ ليكفر خطايا الناس، فكان لابد من الاهتمام بهذه المسألة، والتدليل على بطلانها من خلال نصوص القرآن الكريم؛ لهذا كان هذا البحث بمثابة معول هدم لهذه العقيدة، وتأسيس بناء إسلامي عقائدي متناغم مع نفسه، لا تعتريه التبريرات الكاذبة، والأدلة الواهية، فكان البحث بعنوان: "الخطيئة الموروثة عند النصاري في ضوء القرآن الكريم" ولقد قسمت البحث إلى تمهيد، ومبحثين: تناولت في التمهيد تعريف الخطيئة من حيث اللغة والاصطلاح، والمبحث الأول: جاء بعنوان الخطيئة عند النصاري، وجاء المبحث الثاني: الخطيئة في ضوء القرآن الكريم.

أولاً: أهمية البحث:

١ - تعتبر مسألة الخطيئة من المسائل المهمة في عقيدة النصاري، حيث إنها أساس البناء الفكري والعقدي عندهم.

٢ - تبرز مسألة الخطيئة مدى تسامح الإسلام، والرقى في التعامل البشري، بل التأدب مع الذات الإلهية.

٣ - مسألة العقيدة هي المسألة الوحيدة التي تمثل الفارق بين الإسلام والنصرانية.

ثانياً: منهج البحث:

لقد استخدمت المنهج الاستقرائي في تتبع نصوص العهد القديم والعهد الجديد وتأصيل لمسألة الخطيئة في كلاهما، كما استخدمت المنهج التحليلي في تحليل هذه النصوص، ومحاولة دراستها، كما استخدمت المنهج المقارن من خلال مقارنة تلك النصوص بما جاء في القرآن الكريم، كما إنني اعتمدت على نصوص العهد القديم والجديد، وما كتب حول تفسير هذه النصوص، من خلال كتب النصارى المعتمدة في ذلك.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

١ - أسطورتا الخلق والخطيئة البدئية بين العهد القديم والقرآن، الثابت والمتحول،

هدى بحروني، بحث بأعمال الندوة العلمية، الأسطورة في النصوص المقدسة، كلية الآداب، جامعة القيروان، المجلد الثاني، ٢٠١٦م.

وهذا البحث أقرب للأدب من العقيدة، حيث أنه تناول المسألة في إطار أدبي بحث.

٢ - خطيئة آدم في التوراة والإنجيل والقرآن دراسة مقارنة، د. عماد الدين عبد الله

طه الشنطي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد العشرون، العدد الأول، ص ٣٩ - ص ٦٢ يناير ٢٠١٢.

وهذا البحث تناول المسألة من غير تأصيل النصوص من العهد القديم، ولم يتناول التفاصيل التي أوردتها في بحثي والتعقيب على كل جزئية، كما إنه خلا من تفسير نصوص العهد القديم من كتب التفسير النصرانية كما اعتمدت أنا عليها، فليس هناك نص إلا ووضحت تفسيره، كما إنني عرضت للأسئلة التي تدور في الأذهان، والرد عليها من كتبهم.

خطة الدراسة:

مقدمة: وفيها أهمية البحث، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة على الموضوع.

تمهيد: تعريف الخطيئة، ويشتمل على:

- الخطيئة لغة واصطلاحاً.

- تعريف الخطيئة في الديانة النصرانية:

المبحث الأول: الخطيئة عند النصارى:

المطلب الأول: أحداث قصة الخطيئة عند النصارى:

المطلب الثاني: العقوبات المترتبة على هذه الخطيئة ونتائجها:

المطلب الثالث: نظرية توارث الخطيئة:

المبحث الثاني: الخطيئة في القرآن الكريم:

المطلب الأول: قصة الأكل من الشجرة في القرآن الكريم:

المطلب الثاني: فكرة توارث الخطيئة في القرآن:

خاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد: تعريف الخطيئة:

أولاً: الخطيئة لغة

خطيء الرجل خطئاً فهو خاطيء.... والخطأ: ما لم يتعمد ولكن يُخطئ خطأً وخطأته تخطئة. والخطيئة: أرض يخطوها المطر ويصيب غيرها. وأخطأ إذا لم يصب الصواب^(١) والخطء والخطأ والخطاء: ضد الصواب^(٢) وأخطأ الطريق: عدل عنه، وأخطأ الرامي الغرض: لم يصيبه، وأخطأ نوؤه إذا طلب حاجته فلم ينجح ولم يصيب شيئاً، وخطأ الله نوءها أي جعله! مخطئاً لها لا يصيبها مطرُه.^(٣)

فالخطيئة: الذنب أو ما تعمد منه، والخطأ لم يتعمد، وجمعها خطايا وخطائي.^(٤)

من الملاحظ أن الخطيئة من خطء، وليس من خطأ، فالخطء: العدول عن الصواب بعمد خلاف الخطأ: وهو العدول عن الصواب سهواً.^(٥)

ولقد فرق العسكري بين الخطأ والخطء، أن الخطأ هو أن يقصد الشيء فيصيب غيره ولا يُطلق إلا في القبيح فإذا قيد حازم أن يكون حسناً مثل أن يقصد القبيح فيصيب الحسن فيقال أخطأ ما أراد وإن لم يأت قبيحاً والخطاء تعمد الخطأ فلا يكون إلا قبيحاً والمصيب مثل المخطيء إذا أطلق لم يكن إلا ممدوحاً وإذا قيد جازت أن يكون مذموماً كقولك مُصيب في رمية وإن كان رمية قبيحاً فالصواب لا يكون إلا حسناً والإصابة تكون حسنة وقبيحة فالصواب لا يكون إلا حسناً والإصابة تكون حسنة وقبيحة والخطيء في الدين لا يكون إلا عاصياً لأنه قد زل عنه لقصد غيره والمخطيء يُخالفه لأنه قد زل عما قصد منه وكذلك يكون المخطيء من طريق الاجتهاد مطيعاً لأنه قصد الحق واجتهد في إصابته.^(٦)

وهذا ما ذكره المعجم الوسيط أيضاً: "أن (الخطء) الذنب أو ما تعمد منه وفي التنزيل العزيز { إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا }^(٧). الجمع أخطاء وخطأ وخطئاً أذنب أو تعمد

(١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٢٩٢/٤)، "باب الخاء والطاء"

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرفوسى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٣٩، مادة "خطأ"

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٢١٤/١)، مادة "خطأ"

(٤) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيروت، [١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ]، (٢٥٩/٢)

(٥) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، مادة "خطء"

(٦) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ص ٥٤

(٧) سورة الإسراء: ٣١.

الدَّٰنِبَ وَفِي التَّزْوِيلِ الْعَزِيزِ: {قَالُوا يَتَّابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} (٩٧) (١).
و(الخطاء) مَا لَمْ يَتَعَمَّدَ مِنَ الْفِعْلِ وَضَدَ الصَّوَابِ. (٢)

ثانياً: الخطيئة اصطلاحاً:

من خلال المعنى اللغوي السابق ذكره، قد ساعد في وضع المصطلح الشرعي لهذه الكلمة، ولقد تناولها بعض العلماء حيث اتفقوا على أن الخطيئة هي عمل منكراً بجانب للصواب، بعيداً عن العقلانية والإرادة الصالحة، فالخطيئة ما عظم من الذنب، مخالفة الشريعة الإلهية، إساءة تستلزم الصفح أو التعويض. (٣)

ولفظ الخطيئة لم يرتضيه عبد القادر عودة، حيث حسب المصطلح الشرعي اختار العصيان مع تأكيده أنها بنفس المعنى، وقال: "والعصيان في الشريعة يقابل الخطأ والخطيئة La Faute في تعبير القوانين الوضعية، ولكن التعبير بالعصيان أدق في دلالاته على المعنى المقصود - هو مخالفة أمر الشارع - من التعبير بالخطأ والخطيئة، فضلاً عن أن التعبير الأخير يؤدي إلى الخلط بين لفظ الخطأ بمعنى غير المتعمد، وبين لفظ الخطأ بمعنى مخالفة أمر الشارع. (٤)

كما نجد العلماء يقسمون الخطيئة أو الخطأ على وجهين:

- خطأ في القصد، وهو: أن يرمي شخصاً يظنه صيداً فإذا هو آدمي
- خطأ في الفعل، وهو: أن يرمي غرضاً فيصيب آدمياً. (٥)

ثالثاً: تعريف الخطيئة في الديانة النصرانية:

والخطيئة في المفهوم النصراني فهي التقصير عن بلوغ الغاية التي وضعها الله أمامنا وأخطاء الهدف الذي نصبه الله لنا. (٦)

(١) سورة يوسف: ٩٧.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، ص ٢٤٢

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٦٥٩/١)، مادة "خطأ"

(٤) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت، (٤٠٣/١)

(٥) اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (ت: ١٢٩٨هـ)، حققه، وفضله، وضبطه، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ج ١٤٢/٣

(٦) هذه عقائدنا، ج. كلايد تارنر، الخدمة العربية للكرارزة بالإنجيل، ص ٣٣

المبحث الأول: الخطيئة عند النصارى:

في هذا المبحث سوف أتناول نصوص العهد القديم، والعهد الجديد، ومن ثم شروح تلك النصوص من الكتب الكنسية، حتى تتجلي لنا الفكرة عند النصرانية، وهذه المسألة جاءت في سفر التكوين في الإصحاح الثاني والثالث.

المطلب الأول: أحداث قصة الخطيئة عند النصارى:**أولاً: تحذير الرب الإله من الأكل من الشجرة:**

لقد جاء في سفر التكوين^(١) الإصحاح الثاني: "وأخذ الرب آدم ووضع في جنة عدن ليعلمها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ؛ لأنك يوم تأكل منها حتماً تموت".^(١)

فهنا حذر الرب من الأكل من الشجرة، لأن من يخطئ يموت حتماً، وهذا ما جاء في سفر حزقيال: "النفس التي تخطئ هي تموت".^(٢)

فإن الجنة في عقيدتهم في أرض العراق وكان اسمها عدن، أي الفرح، وبالتالي نفهم أن آدم استمر في أرض العراق؛ ولكنه ما عاد يستمتع بالفرح، فبسبب الخطيئة ما عاد قادراً أن يعاين الله أو يراه فكان يختبأ من الله، وبدأ الحب يفتر والفرح يقل.^(٣)

وعلى حسب المعتقد النصراني أن هناك شجرتان: شجرة الخير والشر، التي ليس له مسموح بالأكل منها، وشجرة الحياة التي له أن يأكل منها ليعيش عيشة أبدية، وهذا ما ذكر من خلال تفاسيرهم: "فشجرة الحياة كانت ضمن شجر الجنة المسموح لآدم أن يأكل منها، ولو فعل لعاش للأبد، وشجرة الخير والشر عكس شجرة الحياة فمن يأكل منها يموت، وبهذا هي تعني الانفصال عن الابن، وهذا لا يحدث إلا بالخطيئة فلا شركة للنور مع الظلمة".^(٤)

ثانياً: إغواء الحية (الشيطان) لحواء:

ويأتي الإصحاح الثالث ليوضح مخالفة آدم وحواء لأمر الرب، بسبب أغراء الحية لهم بالأكل من الشجرة فجاء فيه: "وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة "أحقا قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة" فقال المرأة للحية "من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الجنة التي في وسط الجنة فقال الله "لا تأكل منه ولا

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثاني.

(٢) سفر حزقيال، الإصحاح (٢٠)

(٣) تفسير سفر التكوين، القس انطونيوس فكري، كنيسة السيدة العذراء، القجالة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ١٧٦

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٩

تمسأه لئلا تموتا " فقالت الحية للمرأة " لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة العيون، وأن الشجرة شهية النظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها منها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر. (١)

من خلال هذا النص نجد أن هناك بعض المحطات وبعض المسائل منها :
أولاً: التي أغرت حواء بالأكل من الشجرة هي الحية كما جاء في الإصحاح السابق، فالسبب الذي دفع آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة هي الحية، وهناك من يرى أن الشيطان تخفى فيها، أي " دخل الشيطان في الحية فصار لها ذكاء وحكمة وأثر من كل الحيوانات التي خلقها الله، فجميع الحيوانات ليس لها عقل ولا قدرة على النطق، ولكن استطاعت الحية بالشيطان الداخل فيها أن تجذب الإنسان بالحكمة الشريرة إلى الخطيئة. (٢)

ومن الملاحظ أيضاً أن الحية قامت بإغواء حواء، فهل الحيوان يكلف ويعاقب؟
وإن كان في النصارى أن الحية هي الشيطان كما جاء في سفر الرؤيا " : قَطْرَحَ النَّتْنُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الْأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلَائِكَتُهُ. (٣)

وجاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : " جاء الشيطان متتكرراً كحية خبيثة ؛ ليجرب حواء، وكان قبلاً كائناً ملائكياً، وتمرد على الله. (٤)

ثانياً: من خلال الإصحاح السابق نجد أن الإغراء كان لحواء فقط، حيث جاء أيضاً في الإصحاح الثالث : " فنادى الرب الإله آدم هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها فقال آدم : " المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت. (٥)

وجاء في شرح سفر التكوين : " بكلام الشيطان تحركت الشهوة في قلب حواء فرأت الشجرة وثمارها المحرمة أنها جميلة وشهية ومفرحة مع أنها لم تكن تراها هكذا من قبل، وذلك لقبولها الحوار مع الشيطان، وخضعت المرأة لغوايته فمدت يدها وأكلت من الشجرة وبهذا انفصلت عن الله بالعصيان وسقطت في الشر. وإذ سقطت تدنست

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث.

(٢) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم سفر التكوين، إعداد كهنة وخدام كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة، الناشر، كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية مصر الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٤١.

(٣) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢ : ٩

(٤) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر مديا، مصر، ص ١٢

(٥) سفر التكوين، الإصحاح الثالث (١٣/١٠)

مشاعرها فأرادت إسقاط زوجها أيضاً في الشر ولم تعد معينة له بل وسيلة لإسقاطه في الخطية، أما آدم فأحب امرأته أكثر من الله حتى أنه قبل كلامها ورفض وصية الله فسقط في الخطية.^(١)

وبعد أن وقع آدم في الخطيئة كما جاء في سفر التكوين: "وسمعنا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاخْتَبَأَ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط الجنة، فنَادَى الرب الإله آدم: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخْتَبَأْتُ."^(٢)

فهذا النص فيه إنقاص من الذات الإلهية، حيث إنها وصفت الإله بالجهل، أي أن الإله جهل بمكان آدم، والسؤال هنا استفهامي وليس تقريرياً.

ثالثاً: الطرد من الجنة:

ولقد ختم الإصحاح الثالث بطرد آدم وحواء من الجنة، حيث جاء فيه: "فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا، فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكُرُوبِيمَ وَلَهَبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ."^(٣)

فكان آدم يعمل في الجنة، ولكن بعد طرده عاش بطبيعته الفاسدة المائلة للشهوات الأرضية فصار اتجاهه للأرض التي أُخِذَ منها وليس لله الذي نفخ في أنفه نسمة حياة، فكان محباً للجسديات مبتعداً عن الروحيات إلى حد كبير.

والخطيئة التي ارتكبتها آدم وحواء ليست خطيئة واحدة، فكما يقولون خطيئة مركبة على النحو التالي:

- ١ - هي خطية عصيان ومخالفة، فالله أنذرهم وخالفوا فهي ليست خطية بجهل
- ٢ - هي خطية معاشرات رديئة: حوار مع الحية وتستمر حواء في الحوار بينما الحية تشكك في كلام الله
- ٣ - هي خطية شك وعدم محبة: الشك في صدق كلام الله، والشك أيضاً في المحبة.
- ٤ - هي خطية انقياد: انقياد للشر ضد كلام الله، فيها انقادت حواء للحية، وآدم لحواء.
- ٥ - هي خطية ضعف إيمان، حواء قبلت كلام الحية أكثر من كلام الله، فالحية قالت "لن تموتا".

(١) تفسير الكتاب المقدس - الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم: كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة، ص ٤٢-٤٣

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الآيات (١٠، ٩، ٨)

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، (٢٣)

٦- هي خطيئة استهانة وعدم خوف من الله : لأنهما مدا أيديهما وأكلا.
٧- هي خطيئة شهوة : فالشجرة كانت شهية للنظر، أصبحت النظرة للشجرة مشبعة للشهوة.

٨- هي خطيئة كبرياء : أرادا أن يصيروا مثل الله هي نفس سقطة شيطان
٩- هي خطيئة معرفة مخربة : هي معرفة الشر واختباره.
١٠- هي خطيئة طلب المعرفة من غير الله : كان يجب أن يكون الله هو المعلم والمرشد الوحيد.

١١- هم حفظوا الوصية عقلا وليس عملا.
١٢- عدم القناعة : فكان أمامهم كل شجر الجنة ولم يكتفوا.^(١)
المطلب الثاني: العقوبات المترتبة على هذه الخطيئة ونتائجها:
أولاً: العقوبات المترتبة على هذه الخطيئة:
(أ) عقوبة الحية:

لقد عاقب الإله الرب الحية بأنه لعنها كما جاء في الإصحاح الثالث : " فقال الرب للحية " لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترباً تأكلين كل أيام حياتك وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلكها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه".^(٢)
قرر الله عقاب الحية أولاً والمقصود بالأكثر الشيطان الذي عمل فيها لذا سمي الشيطان بالحية القديمة، وكان العقاب هو:

١- اللعن الإلهي أي فقدان كل بركة والتعرض للمتاعب الكثيرة.
٢- فقدان المنظر الجميل فيبدو أن الحية كانت قائمة أولاً ولكن عندما لعنها الله أصبحت تزحف على بطنها.
٣- صارت ملتصقة بتراب الأرض فيدخل في فمها بدلاً من الطعام. وهي ترمز لكل إنسان شرير يرتبط بالشهوات الشريرة فينحط مستواه ويرجع إلى التراب الذي أُخذ منه فاقداً سمو الروح الذي وهبه الله إياه.
٤- وجود عداوة مستمرة بين الحية والإنسان فتسعى الثعابين للدغ الإنسان في قدميه القريبة منها لأنها تزحف على الأرض، أما هو فيدوس على رأسها ليسحقها

(١) تفسير سفر التكوين، القس انطونيوس فكري، مرجع سابق، ص ١٦٥

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، سقوط الإنسان، (١٦/١٥)

ويقتلها. والحية كما ذكرنا ترمز للشيطان الذي يحاول أن يلدغ الإنسان بشهواته الشريرة ولكن الإنسان بنعمة الله قادر أن يسحق كل قوته وينتصر عليه. ونسل المرأة الذي يسحق رأس الحية هو المسيح الذي يسحق الشيطان ويقيده على الصليب ويحرر أولاده المؤمنين به من قبضته وينقلهم إلى الفردوس.^(١)

نجد أن في النص تعسف واضح حيث ربط النص بالمسيح بدليل أن نص التكوين يتحدث عن عداوة متبادلة بين نسل المرأة ونسل الحية، والمسيح ليس من نسل المرأة إذ يعتبرونه إلهًا بدرجة أنهم لقبوا مريم بوالدة الإله.^(٢)

- ٥ - وهذا اللعن موجهة للشيطان في الحقيقة فهو الذي صتر مكروها من كل الناس
- ٦ - واللعنة موجهة للحية كأداة أضر بها الشيطان الآخرين، والله بهذا يشرح لنا عقوبة من يعثر الآخرين كبيرة، والله هنا يستخدم الحية كوسيلة شرح
- ٧ - الله يعاقب الحية لأنها كانت الأداة في الخطية، هكذا الجسد لأنه أداة الخطية، وأن يعاقب مع النفس
- ٨ - أن الشيطان متمثل في الحية بعد أن كان جميلا قبل سقوطه صار كريها، وأكل التراب رمز للدناءة.^(٣)

كما أن العقوبة السابقة للحية جعلتها تأكل من التراب، فهل الحيات في هذا الزمن تأكل التراب ؛ بل إنها تأكل ما يأكله الطير والحيوانات، كما نصت العقوبة أيضا على أنها تسعي على بطنها، فهل كانت قبل الخطيئة قائمة ؟

كما أن النصوص السابقة جعلت الحية أصدق من الله، حيث إن الله حذرهم بالموت ولم يموتوا، والحية قالت لهم لن تموتا، وإن كان بعض الفلاسفة في العقيدة النصرانية يفرقون بين أنواع الموت كما سيجي ذكره.

(ب) عقوبة حواء:

جاء في الإصحاح الثالث: "وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «كَثِيرًا أَكْثَرُ أَتَعَابَ حَبْلُكَ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَافُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ»."^(٤)

وعقوبة المرأة فلم يأت فيها ذكر اللعن لأنها مع آدم صورة لله فلا تلعن وسيتم فداءها بالمسيح في ملء الزمان، وشملت هذه العقوبة أمرين:

(١) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم: كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة، ص ٤٦

(٢) خطيئة آدم بين التصور المسيحي، والتصور الإسلامي، حفيظ اسلماني، مؤسسات دراسات وأبحاث، ص ٩

(٣) تفسير سفر التكوين، القس انطونيوس فكري، مرجع سابق، ص ١٧١

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، (١٧)

الأمر الأول: آلام الولادة أي لا حياة أو وجود لنسل المرأة إلا بالآلم، وآلام الولادة لا توجد إلا في البشر أما الحيوانات فلا تعاني من آلام أثناء الولادة وذلك حتى تتذكر المرأة طوال أجيالها خطيتها فتتوب وتحترس من حروب إبليس، فكلما اشتركت مع الله في الخلفة وإعطاء حياة لمولود جديد تتذكر الموت الذي سقطت فيه بسبب خطيتها فتتوب.

الأمر الثاني: فساد العلاقة بين الرجل والمرأة، إذ كان آدم أولاً يشاق إليها فتتجابب معه بأشواق المحبة أما بعد السقوط فهي تشاق إليه بعواطف كثيرة أما هو فيميل إلى السيادة والسيطرة. هي تشاق إليه لتفعل مشيئتها وهو يسيطر عليها ليفعل مشيئته، وبهذا فقد روح الوحداية والحب التي ستعود إليهما في المسيح الفادي خلال سر الزيجة وعمل الروح القدس فيهما، ولذا فميل أي طرف للسيطرة على الآخر سواء المرأة بحيلها أو الرجل بتحكمه هو رجوع إلى حالة الخطيئة ونتائجها الشريرة.^(١)

(ج) عقوبة آدم:

جاءت عقوبة آدم في الإصحاح الوقال لآدم: «لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لَقَوْلَ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا مَلْعُونَةً الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ.، وَشَوْكًا وَحَسَا تَنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ، بِعَرَقٍ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لَأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».^(٢)

ويلاحظ أن عقوبة آدم كانت هي الآتي:

١. لعن الأرض بسببه فتنتشر فيها النباتات الجافة والتي تؤذيه مثل الشوك والحسك.
٢. التعب في العمل، فلم يعد لذيذاً كما كان قبل السقوط بل بدأ الألم والتعب ويستمر هذا التعب والألم طوال عمر الإنسان.
٣. يموت الإنسان جسدياً ويوضع في التراب بل ويتحلل جسده، فكما خلق من التراب يعود إلى التراب.^(٣)

ولو نظرنا لعقوبة آدم كما وضحتها تفاسير العهد القديم، نجد على النحو التالي :

١- لعنة الأرض : تعني أنها لم تعد سخية في عطائها ؛ بل صارت قاسية لا تعطي إلا بالتعب.

٢- أكل الخبز بعرق الوجه: يشير لأن العمل لم يعد لذة بل صار تعباً

(١) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم: كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة، ص ٤٦-٤٧

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، (١٩/١٨)

(٣) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم: كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة، ص ٤٧

- ٣- الأرض تثبت شوكا وحسكا : والشوك يشير لأن آدم كان يجد في عمله آلاما تؤخره، والأمراض والأحزان هي شوك وحسك.
- ٤- أكل عشب الحقل : كان العشب طعام الحيوانات فصار طعاما للإنسان
- ٥- إلى التراب نعود: هي عقوبة الموت، أما من أشتاق للسماء وعاش في السماويات، فللسماء تعود.^(١)

ثانياً: نتائج خطيئة آدم وحواء:

لقد كانت لخطيئة آدم وحواء حسب المفهوم الكنسي نتائج سيئة على الإنسانية ومن أهمها :

- ١ - فقد الإنسان الصورة الإلهية المقدسة التي خلق عليها : ودخلت الشهوة إلى الطبيعة البشرية، ودخلت معها العبودية للخطية، وبذلك فسدت طبيعة الإنسان، وعرفت الخطية والشهوة والتعدي والعصيان.
- ٢ - تمردت الطبيعة على الإنسان، الذي كان سيدا عليها من قبل، فصار يخاف الوحوش التي كانت قبلا خاضعة له، وصارت الأرض تثبت له شوكا وحسكا.^(٢)
- ٣ - صارت حكم الموت بأنواعه على الإنسان : ففقد كان الحكم واضحا، حيث جاء في سفر التكوين : "لأنك يوم تأكل منها حتما تموت"^(٣) وهذا نص صريح أيضا في رسالة بولس إلى أهل رومية : "لأنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ، وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا."^(٤)
- ٤ - طرد الإنسان من الجنة وسقطت معه وفيه البشرية كلها : أخرج الله الإنسان من الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد، حيث جاء في سفر التكوين : "وَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ: «هُوَ ذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمْدُ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ»"^(٥) بهذه الطبيعة الفاسدة، وهكذا سقط آدم وسقطت معه البشرية كلها التي كانت في صلبه يوم أن أخطأ ويوم أن طرد من الجنة.

(١) تفسير سفر التكوين، القس انطونيوس فكري، مرجع سابق، ص ١٧٢

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث (١٨)

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثاني.

(٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، (٢٣)

(٥) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، (٢٢)

المطلب الثالث: نظرية توارث الخطيئة:**أولاً: لا طريق لنجاة الإنسان إلا بالفداء:**

على حسب العقيدة النصرانية، أن الخطيئة توارثت، وانتقلت إلى الجنس البشري، يقول الأنبا بيشوي حلمي: "لقد خلقت خطية آدم حالة خطية أعطيت لكل فرد من أفراد الجنس البشري المتناسل منه.^(١)

مع إن نصوص سفر التكوين لا توجد فيها توارث الخطية، والإله يهوه الذي عاقب آدم وحواء والحية، لم يقل لآدم أن خطيئتك ستنتقل للبشرية؛ بل عاقبه وأخرجه من الجنة فقط، وبالتالي فلو كانت الخطيئة ستشمل الجنس البشري، فإن يهوه سيصدر حكم ذلك إبان عقاب آدم وحواء والحية.^(٢)

وهم يقولون أنه بعد سقوط الإنسان لدينا عدة احتمالات:

- ١- إما أن يترك الله الإنسان ليموت ويفني إلي الأبد: وفي هذا انتقاص لمحبة الله ورحمته، كما أن هذا انتصار الشيطان علي الله وعلي مقاصده في خلقه الإنسان... إذ لا يمكن أن يفعل الله ذلك.
- ٢- إما أن يسامح الله الإنسان ويغفر له: وفي هذا انتقاص لعدل الله، كما أن هذه المغفرة لن تجدد طبيعة الإنسان التي فسدت بالتعدى والعصيان... إذن لا يمكن أيضاً أن يفعل الله ذلك.
- ٣- إما أن نجد من يفدي الإنسان ويموت عنه: شخص يموت نيابة عن الإنسان وبذلك يفديه من الموت، وفي الوقت نفسه يتم حكم الله. ولكن لابد من مواصفات محددة وشروط خاصة لهذا الفادي.^(٣)

ثانياً: صفات الفادي:

- ١- يجب أن يكون إنساناً: لأن الذي اخطأ في حق الله كان إنساناً.
- ٢- يجب أن يكون غير محدود: لأن خطيئة الإنسان موجهة لله غير المحدود.
- ٣- يجب أن يكون قدوساً بلا خطيئة: لأنه إذا كان الفادي خاطئاً فكيف يستطيع أن يفدي غيره؟ أليس أعني يقود أعني يسقطان كلاهما في حفرة؟
- ٤- يجب أن يقبل الموت بإرادته: بإرادته المطلقة يسلم نفسه للموت.

(١) عقيدتنا المسيحية الأرثوذكسية، القس بيشوي حلمي، ص ٢٦

(٢) خطيئة آدم بين التصور المسيحي، والتصور الإسلامي، حفيظ اسلماني، ص ١٣

(٣) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، القس بيشوي حلمي، كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٢٧٢

٥ - يجب أن يكون حياً للأبد: ليشفع في دمه في الخطاء كل حين. وهذه الصفات لا تنطبق إلا على الله فهو الوحيد غير المحدود، وهو الوحيد الذي بلا خطية، وهو الحي إلى الأبد، ولكنه ليس إنساناً فالذي أخطأ الإنسان. إذن الحل الوحيد أن هو أن يأخذ الله جسداً إنسانياً، ويقبل في هذا الجسد حكم الموت بدلاً من الإنسان، وفي هذا كل الرحمة وكل العدل... كل الرحمة للإنسان، وكل العدل لله من أجل ألا يفنى الإنسان ويموت ويبقى في الفساد إلى الأبد دبر الله أمر خلاصه، وفدائه، بأن يرسل ابنه الوحيد في ملء الزمان، ليتجسد ويموت بدلاً من الإنسان الساقط، وبذلك يفديه من حكم الموت الأبدي المحكوم به عليه، وهذا ما جاء في العهد الجديد: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم" (١) (٢).

قال القمص أنثاسيوس فهمي جورج: "ما أعجب أنك تعلمت الطاعة مما تألمت به، واحتملت الصليب مستهيناً بالخزي لكي بدمك الخاص تشتري كل ما تحت السماء وتحرر الناس من دين العصيان، وكأنك تقول لنا: "إني أموت من أجل الجميع بنفسي لأتى جعلت نفسي فدية عن أجساد الجميع، فإن الموت سيموت بموتى". ولم تكن هناك وسيلة أخرى لإبادة ذلك الذي له سلطان الموت ولإبادة الموت نفسه أيضاً إلا بأن تبذل نفسك فدية من أجلنا، الواحد من أجل الجميع لأنه فائق للجميع" (٣)

بل إن ممن يتناولون شروح العهد القديم يطرحون أسئلة جدلية، وكأنهم يجيبون على أسئلة المنطق والعقل، ومن تلك الأسئلة الرئيسة في قضية الخطيئة، لماذا ورثت البشرية وتحملت هذه الخطيئة (خطيئة آدم)؟

يقول القديس بولس: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع" (٤)

فهذه الآية حسب اعتقاد النصرانية تقرر مبدأ انتشار الخطيئة من الإنسان الأول، - الذي هو آدم - إلى كل الناس، كما تقرر اجتياز الموت إلى جميع الناس، فلقد كان آدم في الجنة لا يمثل نفسه فقط ؛ بل يمثل البشرية كلها، ولهذا حين أخطأ شمل الحكم جميع

(١) انجيل يوحنا، (١٧/١٦)

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، القس بيشوي حلمي، ص ٢٧٣

(٣) ذكرى آلامه المقدسة، القس أنثاسيوس فهمي جورج، مطبعة أوتو برنت، الناشر: دار الكتاب المسيحي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م، ص ١١

(٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الآية (١٢)

البشر المولودين منه، فصاروا مستوجبين الموت من حيث هو أبوهم وقد ولدوا منه وهو في حالة الخطيئة وبعد أن صدر عليه الحكم بالموت، إذن فالحكم الذي صدر آدم شمل الجنس البشري كله دون استثناء، كما يصدر الحكم على رجل بمصادره أمواله فيصير أولاده جميعاً تحت الحكم بعينه.

ولقد أخطأ آدم فطرده من الجنة وسرى الحكم إلى جميع ذريته، فلم يتمكن واحد من نسله عبر التاريخ البشري كله من دخول الفردوس أو الاقتراب منه؟.

ولقد ختم القس كلامه في الإجابة على هذا السؤال بقوله: "ولم يظلم الله البشر في هذا الحكم؛ لأنه كما شمل الحكم بالموت جميع البشر الذين ولدوا من آدم كذلك شملهم جميعاً عمل الفداء الذي قام به أقنوم الابن المسيح المتجسد الذي سار موته فداء جميع الناس.^(١)

ونفس الإجابة قالها البابا شنودة الثالث، حيث قال: "ولعلك تقول: ما ذنبنا نحن فأجيبك بأمرين:

١. لقد كنا في صلب آدم عندما أخطأ، فنحن لسنا غرباء عنه، وإنما جزء منه.

٢. عملية الفداء تحل مشكلة عبارة "ما ذنبنا نحن".^(٢)

وهناك تساؤل آخر وهو هل تكفي التوبة كما في العقيدة الإسلامية لمحو الذنب، نجد أنه في العقيدة النصرانية لا تكفي التوبة لذلك: "ولعل قائل يقول: كان يمكن أن يطلب الله من البشر التوبة عن تعدياتهم!... ولكن التوبة:

أولاً: لا تستطيع أن توفي مطلب الله العادل، لأنه أن لم يظل الإنسان في قبضة الموت يكون الله غير صادق.

ثانياً: تعجز التوبة عن تغيير طبيعة الإنسان، فكل ما تستطيع أن تفعله هو أن تقف حائلاً بينه وبين ارتكاب الخطيئة.

وقد تكون التوبة كافية لو كان الأمر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الإنسان ولم يتبعه الفساد. أما وقد أنجرف الإنسان في تيار الفساد، حتى دخل الفساد إلى طبيعته، وحُرم من تلك النعمة التي سبق أن أعطيت له، وهي كونه على صورة الله، فمن يستطيع أن يعيد إليه تلك النعمة، ويرده إلى حالته الأولى، إلا "كلمة الله" الذي خلقه في البدء من العدم؟!

(١) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، القس بيشوى حلمي، ص ٢٧٦

(٢) سنوات مع أسئلة الناس، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م، (٣٦/٦)

أنه وحده الذي يستطيع أن يأتي بالإنسان الفاسد إلى عدم فساد، وفي نفس الوقت يوفي مطلب الآب العادل المطالب به الجميع. فهو الذي يقدر بطبيعته أن يجدد خلقه الإنسان، وأن يتحمل الآلام عوضاً عن الجميع، فيكون نائباً عن الجميع لدى الآب.^(١)

والسؤال الثالث الذي يطرح نفسه، وهو لماذا نموت ما دام تم الفداء، ما دامت عقوبة الخطية الموت، وقد مات المسيح عنا وخلصنا، كما يقولون في معتقدهم النصراني، فيجب البابا شنوده عن هذا أن المسيح خَلصنا من الموت الروحي والموت الأدبي، فإن كان الموت الروحي هو الانفصال عن الله، حيث قال القديس بولس: "قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ."^(٢)

ومن جهة الموت الأدبي: خَلصنا منه الرب، بأن أعادنا إلى رتبتنا الأولى، أعاد إلينا الصورة الإلهية، ورد إلينا اعتبارنا الأدبي بأن صرنا أبناء الله، كما خَلصنا من الموت الأدبي، حيث جاء في إنجيل يوحنا: "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ"^(٣) فموت المسيح صارت لنا حياة أبدية، وخلصنا بموته من الموت الأدبي، وهذا هو الأساس في الخلاص.

أما الموت الجسدي فلم يعد موتاً في الحقيقة، ونعني بالموت الجسدي انفصال الروح عن الجسد، فهو انتقال إلى الفردوس وإلى عشرة المسيح، وهذا اشتاءه بولس وراه انطلاقاً من سجن هذا الجسد، حيث قال: "لِيْ أَشْتِهَا أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَلِكَ أَفْضَلُ جِدًّا."^(٤)

فكما يقول البابا شنوده أن الموت الجسدي ليس عقوبة، إنه مجرد جسر ذهبي نصل به إلى الأبدية، فهو حسب زعمه إن هذا الذي يسمى موتاً له فضل كبير علينا، فهو الطريق إلى خلع الفساد وليس عدم الفساد.^(٥)

فخلاصة هذه العقيدة أن آدم عندما أكل من الشجرة حدثت ثلاثة أشياء لها خطورتها: كسر وصية الله وأهانته، لأنه أوصاه أن لا يأكل من الشجرة وأكل. صار مستحقاً لحكم الموت، لأن الله قال له يوم تأكل منها موتاً تموت. فسدت طبيعته بمرعة الشر والخطية؛ لأنه بعد أن أكل انفتحت عينه على الخطية والشر، فكان لا بد أن يوجد:

(١) التجسد، معناه واهدافه، القمص ميثاق فريد وهبه، مطبعة دار يوسف كمال للطباعة، الناشر: كنيسة العذراء بالفيالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.، القاهرة، فصل (٧) (٢-٥)

(٣) إنجيل يوحنا، الآية (١٦)

(٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي، الآية (٢٣)

(٥) سنوات مع أسئلة الناس، البابا شنوده، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م، ص ٢٩-٣٠، عقائدنا المسيحية، ببشوي حلمي، ص ٢٨٢،

- ١ - مصالح يصلح الإنسان على الله، فاتخذ جسدا ليصلح الإنسان، لأن الإنسان لا يستطيع أن يكون إلها، بينما الله يستطيع أن يتخذ شكل الإنسان.
- ٢ - من يرفع حكم الموت عن الإنسان
- ٣ - من يجدد طبيعته الفاسدة.^(١)

(١) أسئلة عامة عن التثليث والتوحيد والتجسد، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص ٢٧

المبحث الثاني: الخطيئة في القرآن الكريم: المطلب الأول: قصة الأكل من الشجرة في القرآن الكريم: أولاً: مكان الجنة:

الجنة في المعتقد النصراني التي كان فيها آدم هي جنة أرضية تحدها أنهار أربعة وتغزيها كما جاء في سفر التكوين في الإصحاح الثاني: "وكان نهر يخرج من عدن يسقي الجنة، واسم النهر الثاني جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كوش، اسم النهر الثالث حدّاق، وهو الجاري شرقي آشور. والنهر الرابع الفرات".^(١) كما دل لفظ "أخرج" في سفر التكوين: "فأخرج الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها".^(٢)

الجنة في القرآن إنها جنة سماوية وإن كان حدث اختلاف بين المفسرين في مكانها اختلفوا فيها على قولين: أحدهما أنها في السماء، لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن، الثاني: أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاها عنها دون غيرها من الثمار.^(٣)

كما أن الرازي حمل الإهباط في الآية على الانتقال حيث جاء في تفسيره: "اختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية، هل كانت في الأرض أو في السماء؟ ويتقدير أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار الثواب أو جنة الخلد أو جنة أخرى؟ فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الأصفهاني: هذه الجنة كانت في الأرض، وحملوا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة".^(٤)

واحتجاً عليه بوجوه:

أحدها: أن هذه الجنة لو كانت هي دار الثواب لكانت جنة الخلد، ولو كان آدم في جنة الخلد لما لحقه الغرور من إبليس ولما صحّ قوله: {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف: ٢٠].
وثانيهما: أن من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى: {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: ٤٨].

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثاني (١٤/١٣/١٠)

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثاني، (٢٣).

(٣) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، عبد القادر بن أحمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩١ م، ص ١٧٥

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ، (٤٥٣/٣)

وثالثهما: أن إبليس لما امتنع عن السجود لعن فما كان يقدر مع غضب الله أن يصل إلى جنة الخلد.

ورابعها: أن جنة الخلد لا يفنى نعيمها لقوله: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} [هود: ١٠٨] إلى أن قال: {عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ} [هود: ١٠٨] أي: غير مقطوع. وخامسها: لا نزاع في أن الله - تعالى - خلق آدم في الأرض، ولم يذكر في هذه القصة أنه نقله إلى السماء، ولو كان - تعالى - قد نقله إلى السماء لكان أولى بالذكر؛ لأن نقله من الأرض إلى السماء من أعظم النعم، فدلّ على أن ذلك لم يحصل، وذلك يوجب أن هذه الجنة غير جنة الخلد. (١)

لكن الباحث يرجح أنها جنة سماوية، وهذا يعضده قوله تعالى: {قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَكُم مِّنِّي هَذِي فَمَنِ اتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْقَى} [٣٣] (٢)، حيث استخدم لفظ " اهبط " والهبوط يكون من أعلى إلى أسفل. ثانياً: اسم الشجرة:

في المبحث الأول تحدثنا عن اسم الشجرة كما وردت في المعتقد النصراني، وكانت اسم الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، هي شجرة الخير والشر، أما في القرآن فهي شجرة الخلد، حيث قال تعالى: {قَالَ يَتْلَاهُم هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} [٣٣] (٣).

ونعجب لإبليس: ما دُمت تعرف شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى، لماذا لم تأكل أنت منها وتحوز هذه الميزة؟ (٤)

وحسب المعتقد النصراني أن الحية هي التي أغوت حواء بالأكل من الشجرة، ولقد نبه القرآن على أنه الشيطان من خلال قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ} (٥). كما أن في العهد القديم فالإله يهوه هو من خاف أكل آدم وحواء من شجرة الحياة التي تمنح الخلود وكلف الكروبيم لحراستها، بمعنى لو أكل آدم وحواء منها سينالان

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، (٥٥٠/١)

(٢) سورة طه: ١٢٣.

(٣) سورة طه: ١٢٠.

(٤) تفسير الشعراوي، (٩٤٣٠/١٥)

(٥) سورة طه: ١٢٠.

الخلود، حيث جاء في سفر التكوين: "فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكَرُوبِيمِ، وَلَهَبَ سَيْفٌ مُتَقَلِّبٌ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ".^(١)

أما في القرآن فالشيطان الذي وسوس لأدم كي يدلّه على شجرة الخلد، لكن لما اكلا بدأت لهما سوأتها.

ثالثا : الإغواء كان لأدم وحواء

حسب المعتقد النصراني أن الإغواء كان لحواء فقط، فهذا يجعل أن آدم في دور التابع الذي ألغى عقله وآمن لحواء وانصاع لطلبها بالأكل دون تفكير، ولكن هذا يجعله غير مذنب، فهذا يمثل صديق أعطى خمرا لصديقه فهل يشرب دون معرفة هذا الشيء، بالطبع لابد أن يعلم ما هذا ويخرجه من فمه طالما أحس بحرمانية هذا الشيء.^(٢)

لكن القرآن يقرر أن الإغواء كان لكليهما لكن القرآن خالف هذا المعتقد، حيث إن كلاهما أكلا من الشجرة وكلاهما أذنب، حيث قال تعالى : {فَأَنزَلْنَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ} {٣١} (٣).

فالشيطان في القرآن قام بممارسة فعل الغواية على الاثنين معا، لذلك كانا متساوين في الذنب وفي العقاب وحظيا بنفس العفو.

رابعا: عقوبة آدم وحواء:

(١) العقاب الأول:

نجد أن العقوبة في العهد القديم والقرآن متقاربة خاصة العقوبة في مرحلتها الأولى، حيث كما جاء في العهد القديم والقرآن كانت العقوبة هي العري وإنكشاف العورة، حيث جاء في العهد القديم : "فَأُفْتُتِحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعِلْمُهُمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ، فَخَاطَا أَوْرَاقَ تَيْنٍ وَصَنَعَا لَأَنْفُسِهِمَا مَازَرًا"^(٤) وهي نفس العقوبة في القرآن حيث قال تعالى : {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفَّاءٌ لَّكُمَا وَعَدُوكُمَا نَارًا} {٣٣} (٥).

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الآية (٢٤)

(٢) حواء في اليهودية والمسيحية والإسلام، دراسة مقارنة، مصطفى عبد العظيم أحمد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، بحث منشور على الإنترنت، ص ١٨٨

(٣) سورة البقرة: ٣٦.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الآية (٧)

(٥) سورة الأعراف: ٢٢.

وشرعا يخصفان أي يلزقان أو يضعان ويربطان على أبدانهما من ورق أشجار الجنة العريض ما يسترها.^(١)

وقال تعالى: "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءُ نُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٣﴾".^(٢)

قال ابن عاشور: "قوله: وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة حكاية لابتداء عمل الإنسان لستر نقائصه، وتحيله على تجنب ما يكرهه، وعلى تحسين حاله بحسب ما يخيّل إليه خياله، وهذا أول مظهر من مظاهر الحضارة أنشأه الله في عقلي أصلي البشر، فإنهما لما شعرا بسوءاتهما بكلا المعنيين، عرفا بعض جزئياتها، وهي العورة وحدث في نفوسهما الشعور بقبح بروزها، فشرعا يخفيانها عن أنظارهما استبشاعا وكرهية، وإذ قد شعرا بذلك بالإلهام الفطري، حيث لا ملقن يلقنهما ذلك، ولا تعليم يعلمهما، تقرر في نفوس الناس أن كشف العورة قبيح في الفطرة، وأن سترها متعين.^(٣)

كما من الملاحظ أنهما وارى سؤاتهما في العهد القديم أنهما خاطا لأنفسهما مآزر من ورق التين، لكن في القرآن، أخذنا من ورق الجنة ليواريا سؤاتهما.

(ب) العقاب الثاني:

جاء العقاب الثاني من خلال العهد القديم: اللعن للحية والاعتداء بالتراب، وعقوبة حواء تمثلت في ألم الولادة والعداوة الأبدية بين نسلها وبين الحية، والخضوع لسلطة الزوج، أما عقاب آدم تمثل في النصب والشقاء في تحصيل القوت.^(٤)

الطرد من الجنة:

هنا عقوبة الطرد من الجنة، بين القرآن والعهد القديم توافق، حيث نزل إلى الأرض كلاهما وكتب الله عليهما الموت، وفي هذا يتطابق العهد القديم مع القرآن حيث جاء في العهد القديم: "بِعَرَقٍ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ".^(٥)

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، (٩٤/٣)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ، (١٠٨/٢٢)

(٢) سورة طه: ١٢١.

(٣) التحرير والتبوير «تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:

١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ، (٦٤/٨)

(٤) أسطورة الخلق والخطيئة البدنية بين العهد القديم والقرآن، الثابت والمتحول، هدى بحروني، بحث بأعمال الندوة العلمية، الأسطورة في النصوص المقدسة، كلية الآداب، جامعة القزوين، المجلد الثاني، ٢٠١٦م، ص ١٤٦

(٥) سفر التكوين، الإصحاح (٣) الآية (١٩)

وجاء أيضا: "تَحْجُبُ وَجْهَكَ فَتَرْتَاغُ. تَنْزِعُ أَرْوَاحَهَا فْتَمُوتُ، وَإِلَىٰ تَرْابِهَا تَعُودُ".^(١)
وجاء في القرآن: "قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" {٥٥}.(٢)

لقد تناولنا عقوبة الثلاثة في العهد القديم في المبحث الأول بالتفصيل. أما في النص القرآني نجد أن العقاب تمثل في طرد الثلاثة من الجنة، فقد كانا في نعيم، كما صوره النص القرآني حيث قال تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ" {٣}. قال الشعراوي: "من ماذا أخرجهما؟ من العيش الرغيد. واسع النعمة في الجنة. ومن الهدوء والاطمئنان في أن رزقهما يأتيهما بلا تعب. ولذلك سيأتي الحق في آية أخرى ويقول: {يَكَادُمْ إِنْ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} {١٧} {٤} {٥}

وأصبحت العلاقة العدائية بين الشيطان والإنسان، {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} {٦} وفيها تأبدت خطيئة الشيطان وكان الحكم عليه باللعن.

المطلب الثاني : فكرة توارث الخطيئة في القرآن:

أولاً: قبول توبة المخطيء:

لقد حظى الزوجان فرصة لإعادة تأسيس علاقة أخرى مع الله، قال تعالى: {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} {٧}.

قال الطبري: "أن الله جل ثناؤه لقي آدم كلمات، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب بقبله إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته، معترفاً بذنبه، متصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه".^(٨)

فلقد قبل الله توبة آدم، ولم يتحملها الإنسان كما في النص التوراتي، قال الشعراوي: "والذين يقولون بأنه لا بد من وجود بشر نسميه مخلصاً. ليفدي العالم بصلبه

(١) سفر المزمير، الإصحاح (١٠٤)، الآية (٢٩)

(٢) سورة الأعراف: ٢٥.

(٣) سورة البقرة: ٣٦.

(٤) سورة طه: ١١٧.

(٥) تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (٢٦٦/١)

(٦) سورة طه: ١٢٣.

(٧) سورة البقرة: ٣٧.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٤٤٦/١)

أو بغير ذلك من الخطيئة التي ارتكبها آدم. نقول له: أنك لم تفهم عن الله شيئاً، لأن القصة هي هنا خطأ قد حدث وصوب. وفرق بين الخطأ والخطيئة. فالخطأ يصوب. ولكن الخطيئة يعاقب عليها.

وآدم أخطأ وصوب الله له. وتلقى من ربه كلمات فتاب عليه. إذن لا توجد خطيئة بعد أن علمه الله التوبة وتاب إلى الله. ثم ماذا فعل آدم. حتى نقول نخلص العالم من خطيئة آدم. إنه أكل من الشجرة. وهل خطايا العالم كلها أكل؟^(١)

كما يردف الشعراوي قائلاً: "لو أن كلامهم صحيح لكان لابد ألا توجد خطيئة على الأرض مادام قد وجد المخلص الذي فدى العالم من الخطيئة. ولكن الخطيئة باقية. ومن الذي قال أن الخطيئة تورث. حتى يرث العالم كله خطيئة آدم؟". والله تعالى يقول: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} ^(٢)، ويقول أيضاً: "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ" ^(٣).

كما وضحت السنة النبوية ذلك الخطأ الذي وقع فيه سيدنا آدم، حيث إنها كانت بقدر الله، وذلك من خلال المحاجة بين سيدنا موسى وسيدنا آدم في الحديث الذي أخرجه البخاري عن طاوس: سمعت أبا هريرة، عن النبي ' قال: "احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى " ^(٤).

ولا يملك أي إنسان أن يكفر خطيئة أحد حتى ولو كان نبياً، وهذا ما اسقطه القرآن على سيدنا محمد حيث قال: "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" ^(٥)، وقال أيضاً: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ" ^(٦).

فلا يتحمل الأبناء خطيئة الآباء ولا غيرهم، وهذا صريح في كتاب الله حيث قال تعالى: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَلِمَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ" ^(٧).

(١) تفسير الشعراوي، (٢٦٩/١)

(٢) المرجع السابق، (٢٦٩/١)

(٣) سورة الممتحنة: ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب تهاج آدم وموسى عند الله، برقم (٦٦١٤)، (١٢٦/٨)

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٦) سورة آل عمران: ١٢٨.

(٧) سورة قاطر: ١٨.

واختم بقوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعِمِيدِ» (١).

ثانياً: دحض فكرة توريث الخطيئة:

إن نصوص العهد القديم تؤكد أن من ارتكب خطأ فهو ملزم به لا يتعدى إلى الغير من تلك النصوص:

١ - «لَا يُقْتَلُ الْآبَاءُ عَنِ الْأَوْلَادِ، وَلَا يُقْتَلُ الْأَوْلَادُ عَنِ الْآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ» (٢)
٢ - «وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ أَبْنَاءُ الْقَاتِلِينَ حَسَبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى، حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ قَائِلًا: «لَا يُقْتَلُ الْآبَاءُ مِنْ أَجْلِ الْبَنِينَ، وَالْبَنُونَ لَا يُقْتَلُونَ مِنْ أَجْلِ الْآبَاءِ. إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ يُقْتَلُ بِخَطِيئَتِهِ»» (٣)

٣ - «هَذَا كُلُّ النَّفْسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الْآبِ كَنَفْسِ الْابْنِ، كِلَاهُمَا لِي. النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ» (٤)

٤ - «النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الْابْنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ، وَالْآبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْابْنِ. بَرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشَّرِيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ» (٥)

حتى نصوص العهد الجديد تنفي فكرة توارث الخطيئة، وإليك بعض النصوص من العهد الجديد، حيث أنكر المسيح الخطيئة الأصلية بقوله: «لو لم أكن قد جننت وكلمتهم، لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيئتهم، الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي» (٦).

فهنا المسيح لا يتحدث عن خطأ سبق وجود المسيح، بل يتحدث عن خطأ وقع في بني اسرائيل تجاهه، وليس فيه ذكر للخطيئة الموروثة.

وعندما أكل المسيح مع العشارين والخطاه وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه لِيَسْمَعُوهُ، فَتَذَمَّرَ الْفَرِيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: «هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ! فَكَلَّمَهُمْ بِهَذَا الْمَثَلِ قَائِلًا: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خُرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِدًا مِنْهَا، أَلَا يَتْرُكُ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَيَذْهَبُ لِأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَكْبِيٍّ»

(١) سورة فصلت: ٤٦.

(٢) سفر التثنية، الإصحاح، (٢٤)، الآية (١٥)

(٣) سفر الملوك الثاني، الإصحاح (١٤)، الآية (٦)

(٤) سفر حزقيال، الإصحاح، (١٨)، الآية (٤)

(٥) سفر حزقيال، الإصحاح، (١٨)، الآية (٢٠)

(٦) يوحنا، الإصحاح، (١٥)، الآية (٢٢-٢٤)

فَرِحًا، وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الْأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلًا لَهُمْ: أَفْرَحُوا مَعِيَ، لِأَنِّي وَجَدْتُ خُرُوفِي الضَّالَّ! أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ. (١)

وختم كلامه بعد ضرب أمثلة عديدة بقوله: "هَكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قَدَامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ". (٢)

أليس النص السابق ذكره مطابق لحديث النبي ' : " الله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهب، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فأنه أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده ". (٣)

كما أن المسيح وصف الكثير بالنقاء، والخير فلو كانوا ورثوا الخطيئة ما نعتهم بذلك، فنجده يقول: "«دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ»". (٤)

وقال أيضا: "«لَا يَحْتَاجُ الْأَصِحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَارًا بَلِ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ»". (٥)

فكيف يوجد أبرار يحملون الخطيئة، فالمسيح نعتهم بالأبرار، وهو لم يصلب بعد، كما دعاهم إلى التوبة من خطاياهم.

فمن خلال تلك النصوص أتفق مع الدكتور الشنطي الذي استخلص بعض الملاحظات قائلا:

١ - النفس التي تخطي هي تموت، والمسيح لم يرتكب خطأ فلماذا يموت بسبب ذنوب الآخرين؟

٢ - الابن لا يحمل إثم الأب، وعليه فليست هناك خطيئة موروثة ليموت المسيح من أجلها.

(١) إنجيل لوقا، الإصحاح (١٥)، الآيات (١-٧)

(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح (١٥)، الآية (٨)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحز على التوبة والفرح بها، برقم (٢٧٤٤)، (٢١٠٣/٤)

(٤) إنجيل متي، الإصحاح (١٩)، الآية (١٤)، إنجيل مرقس، الإصحاح (١٠)، الآية (١٤)، إنجيل لوقا، الإصحاح (١٨)، الآية (١٦).

(٥) إنجيل مرقس، الإصحاح الثاني، الآية (١٩)

٣- بر الأبرار يكون لهم، فلا يحتاجون لموت المسيح، وبذلك لا قيمة لمفهوم الكفارة والصلب.

٤- إذا تاب الشرير من خطاياہ وذنوبه التي فعلها، وحفظ جميع فرائض الله، وفعل حقا وعدلا سينال المغفرة من الله، وسيحیی حياة أبدية من غير أن يكون بحاجة إلى من يموت عنه ليكفر عنه خطاياہ، فالإنسان ليس بريئاً فقط من خطيئة أبيه، بل يمكنه أيضاً أن يتحرر من ماضيه مهما بلغت ذنوبه، وذلك بالتوبة والإنابة إلى الله.

٥- إن دعوة المسيح ليس فيها أي ذكر للخطيئة الموروثة، بل لم يشتر لخطيئة سابقة.^(١)

كما أن القرآن الكريم من خلال النصوص والتي ذكرتها لم ينكر مسألة الخطيئة وتوارثها فقط، وإنما أنكر مسألة صلب المسيح، وما ترسخ في عقيدة النصارى بفكرة "المخلص"، والقرآن نصه قطعي الدلالة قطعي الثبوت في تلك المسألة حيث قال تعالى: **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨} ١٥٩ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٦٠}**^(٢).

ما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا أنهم قتلوه وقيل إن قوله يقينا يرجع إلى ما بعده تقديره وما قتلوه بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ يقينا والمعنى أنهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله رفعه إليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن أراده بسوء.^(٣)

يقول أبو زهرة في زهرة تفاسيره: "إضراب بياني فيه رد لزعمهم القتل، والمعنى بل إنه لم يقتل، وأن الله رفعه إليه، وظاهر القول أن الرفع كان بجسده وروحه، لآ بروحه فقط، وبهذا جاء التفسير المأثور، وعليه أكثر المفسرين، وأيدته السنة.^(٤)

(١) خطيئة آدم في التوراة والإنجيل والقرآن دراسة مقارنة، د. عماد الدين عبد الله طه الشنطي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد العشرون، العدد الأول، ص ٣٩ - ص ٦٢ يناير ٢٠١٢، ص ٤٨.

(٢) سورة النساء: ١٥٧-١٥٩.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، (٤٤٥/١).

(٤) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (١٩٥٣/٤).

وقال طنطاوي: "وجمهور العلماء على أن عيسى رفع حيا من غير موت ولا غفوة بجسده وروحه إلى السماء. والخصوصية له - ﷺ - هي في رفعه بجسده، وبقاؤه فيها إلى الأمد المقدر له.^(١)

كما دلت السنة أيضا عدم قتل سيدنا عيسى وإنه حي سينزل آخر الزمان كما أخرج البخاري في صحيحه: "عن سعيد بن المسيب، سمع أبا هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد».^(٢)

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م، (٢٢٢/٢)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، برقم (٢٤٧٦)، (١٣٦/٣)

الخاتمة

أولاً: النتائج:

١- الخطيئة في القرآن لا تتوارث، ولا تنتقل للبشرية، فكل إنسان يتحمل ورزءه، كما في قوله تعالى: "مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾" (١).

٢- تضارب نصوص العهد القديم، مع نصوص العهد الجديد حول الخطيئة وتوريثها للجنس البشري، مما لا يدع مجالاً للشك على بطلان تلك المزاعم، وتنفيذ تلك العقيدة الزائفة.

٣- هناك نصوص من العهد القديم والجديد تتفق مع القرآن في قبول التوبة، وفرح الله بتوبة العبد التائب، ومحاسبة كل إنسان على جريته وخطأه ولا يتعدى هذا الخطأ إلى الغير.

٤- بطلان مسألة الخطيئة ترتب عليه بطلان كل العقائد التي قامت على هذه المسألة من الفداء والصلب.

٥- مسألة خطيئة آدم في القرآن تلخصت في سبع كلمات وهي: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه".

٦- نصوص العهد القديم فيها إساءة أدب للذات الإلهية، وبها فحش في الألفاظ، مما يدل على تحريف تلك الكتب.

٧- أسماء الله الحسني الرحمن والرحيم والغفار تتنافى مع القول بالخطيئة والصلب والفداء.

٨- تفاسير العهد القديم والجديد التي وضعها القاسوسة ما هي إلا جدال كلامي وسفسطة، يحاولون فيها ترميم ما تهدم من عقيدتهم التي فضحتهم نصوصهم.

ثانياً: التوصيات:

١- يوصي البحث بتناول مسألة الخطيئة في رسائل علمية، حيث إن الموضوع يحتاج إلى معالجة أكبر وأعمق من أن يفي بحقه بحث.

٢- على طلاب العلم الشرعي من هم على قدر كافي من الإمام بالعقيدة وعلم الكلام، قراءة نصوص العهد القديم وبيان تناقضها مع العهد الجديد، كي نتصدى للهجمات التي تعترينا.

(١) سورة الإسراء: ١٥.

- ٣- كما يوصي البحث عدم قراءة العوام لكتب النصاري، حيث إن تفاسيرهم أقرب للفسطة، وتفسير النصوص على مقتضى يخدم فكرتهم وعقيدتهم
- ٤- التوسع في كل الكليات الشرعية من قسم مقارنة الديانات، حيث لا وجود له في بعض الكليات باستثناء الأزهر، حتى يكون طالب العلوم الشرعية على علم بعقائد غيره.

المصادر والمراجع

١. أسطورتنا الخلق والخطيئة البدئية بين العهد القديم والقرآن، الثابت والمتحول، هدى بحروني، بحث بأعمال الندوة العلمية، الأسطورة في النصوص المقدسة، كلية الآداب، جامعة القريوان، المجلد الثاني، ٢٠١٦م.
٢. أسئلة عامة عن التثليث والتوحيد والتجسد، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٤. التجسد، معناه واهدافه، القمص متياس فريد وهبه، مطبعة دار يوسف كمال للطباعة، الناشر: كنيسة العذراء بالفجالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، القاهرة.
٥. التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
٦. التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت.
٧. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨ هـ)، مطابع أخبار اليوم.
٨. تفسير الكتاب المقدس - الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم: كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة.
٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م.
١٠. تفسير سفر التكوين، القس انطونيوس فكري، كنيسة السيدة العذراء، الفجالة، القاهرة، ٢٠١٦م.
١١. تفسير سفر التكوين، القس انطونيوس فكري، كنيسة السيدة العذراء، الفجالة، القاهرة، ٢٠١٦م.
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣. جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، عبد القادر بن أحمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩١م.
١٤. حواء في اليهودية والنصرانية والإسلام، دراسة مقارنة، مصطفى عبد العظيم أحمد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، بحث منشور على الإنترنت.
١٥. خطيئة آدم بين التصور النصراني، والتصور الإسلامي، حفيظ اسلماني، مؤسسات دراسات وأبحاث.
١٦. خطيئة آدم في التوراة والإنجيل والقرآن دراسة مقارنة، د. عماد الدين عبد الله طه الشنطي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد العشرون، العدد الأول، ص ٣٩ - ص ٦٢ يناير ٢٠١٢.
١٧. ذكرى آلامه المقدسة، القس أنثاسيوس فهمي جورج، مطبعة أوتو برنت، الناشر: دار الكتاب النصراني بالقاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
١٨. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤ هـ)، دار الفكر العربي.
١٩. سنوات مع أسئلة الناس، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.
٢٠. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣ هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٢١. عقائدنا النصرانية الأرثوذكسية، القس بيشوي حلمي، كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٢٢. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
٢٣. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٢٤. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٠٧ هـ.
٢٦. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيشي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١ هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٧. اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (ت: ١٢٩٨ هـ)، حققه، وفصله، وضبطه، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
٢٨. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
٣١. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ.
٣٢. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٣٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٣٤. الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم سفر التكوين، إعداد كهنة وختم كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة، الناشر، كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية مصر الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.
٣٥. هذه عقائدنا، ج. كلايد تارنر، الخدمة العربية للكرارزة بالإنجيل.